الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 12) – 1991 – 1412

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

شماره ثبت
تاریخ

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

الخطيب الحسيني الأول
السيد صالح الحلي
(١٢٩٠ ـ ١٣٥٩هـ)

علي الخاقاني*

هو أبو المهدي السيد صالح بن محمد بن حسين الحسني الحسيني الحلي ، خطيب شهير وأديب جريء ، وعالم متبحر .

ولادته ونشأته :

ولد في الحلة ١٢٩٠هـ ونشأ فيها وقد لاحت علائم الذكاء المفرط على جبينه منذ الطفولة ولم يكد يبلغ الثامنة عشرة من العمر حتى حببت اليه نفسه الهجرة الى دار العلم ـ النجف ـ فبارح مسقط رأسه وقد افهم أخدانه انه سيكون له شخصية يغبط عليها ، وما ان هبط النجف حتى وجد الأرض الصالحة التي يستطيع ان يظفر بجميع أمانيه فيها وبذلك اتجه الى طلب العلم من اهله فأحاط بمقدمات العلوم على اساتذة بارزين منهم الشيخ عبد الحسين الجواهري والشيخ سعيد الحلي ، واخذ الأصول على السيد عدنان السيد شبر والشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري والشيخ ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية ، واختلف بدراسة الفقه على أعلام اكثر ملازمه لهم جدنا الشيخ علي الخاقاني الكبير المتوفى ١٣٣٤هـ والشيخ جواد محي الدين المتوفى ١٣٢٢هـ .

مكانته الاجتماعية :

لعل المترجم له غني عن التعريف بمكانته ومنزلته في الأوساط العراقية بل والعربية وغيرها من العواصم الشرقية التي كانت تصدر الرجال الذين يفدون الى العراق فيشاهدون ما له من الأثر الكبير في نفوس الجماهير ومن نظرة الحكم له فينقلون تلك الصور الى ديارهم . والحق ان السيد صالح كان ذو مكانة في مطلق النفوس يوم ان نشأ وصحب الشاعر السيد عبد المطلب الحلي تلك الشخصية التي كانت لا تحجم عن أي أمر ترى أن يكون ، فكان وصاحبنا لا يفترقان يوم أن كان يتردد على مسقط رأسه ويوم أن كانا يخضعان اي شخصية كبرت أو عظمت بما اوتيا من موهبة النظم والخطابة والكتابة والجرأة فكانا لا يرد لهما طلب ولا اقتراح ولا تجد من يتعرض لذكرهما أو يتناشهما بقول أو يد ، وبذلك ضل يتمتع في معظم حياته .

الخطيب والخطابة :

لا مراء ان المترجم له أخطب شخص رأيته في عصره فقد كان يستخدم الألفاظ ويسيرها حسب ذوقه ووفق ما يقصد ، ولقد اختص

السيد صالح الحلي

بمواهب خطابية دعت أن تخضع له الجماهير فقد كان يعالج كثيراً من النفوس ويدغدغ أصحابها وعقليتهم بما يستهويهم بمليح القول والنكتة وكثرة الشواهد وتصوير القصص الجميل فكان يعقل العالم والجاهل في مجلسه فلا يفلت منه أي انسان مهما كانت ميوله وغرائزه ومذهبه لأنه يجد ما يلذ له سماعه من فيه ، وما سر ذلك إلا تضلعه بمختلف العلوم والفنون وكثيراً من جوانب الأدب العربي ، ولقد حضرت له عشرات المجالس التي لا ازال استحضرها لبلاغتها وتمكنها من المنطق الصحيح ، فإذا ما وعظ اثر في النفوس وغيبها عن وجودها ودك عنفوانها وأذاب حرارتها وبدد سوءها وإذا ما طرق موضوعاً تاريخياً نقلك الى ذلك العهد الذي يتعلق به الموضوع وجعلك تؤمن بأنك من أبناء ذلك العصر لقوة التصوير وحسن العرض وإذا ما حاول حل مسالة فقهية كان كأكبر فقيه يوقفك على معرفة أسرارها وتوضيح مفهومها مما يدعك غير محتاج لأي فقيه آخر تأخذ عنه مبادىء مذهبك ، وأما إذا نقد كان أعظم ناقد يتعمق في نقده خاصة إذا استخدم أنواع البديع وصحب التورية التي اختص بها البياني في حين أنه بقوة اسلوبه ووضوحه يقربها الى نفس الأمي حتى يدعه يشعره بها من أي طريق يشاءه وبذلك نال مكانة في الخطابة سامية ندر من لحق به ونال منزلته من خطباء الأعواد الحسينية . والخطابة ليست من الفنون السهلة التي يحصل عليها الانسان ساعة ان يشاء ، بل هي نتيجة جهد ودرس ومرور زمن يشفع بالبحث والتحقيق بالاضافة الى المؤهلات الشخصية من قوة الصوت وحسن الالقاء والجرأة هي العنصر الفعال في الموضوع .

ملاكماته السياسية :

لم يكن المترجم له من اولئك الخطباء الذين جمدوا على سرد قصة الامام الحسين(ع) او الوعظ والارشاد او القاء المسائل الشرعية التي يقصد من ورائها التزلف الى ما في أيدي الناس ، بل كان خطيباً سياسياً خطراً لا يحيد عن الرأي الذي رسمه لنفسه والذي لقنه به رجال لهم قيمتهم في الرأي ، وإذا ما اردنا أن نتطرق الى الدور الفكري والسياسي في عصره فإنما نحتاج الى سرد مواضيع كثيرة ليس هذا مكانها وإنما استوفينا الكثير منها في كتابنا (شعراء الغري) غير ان المترجم له وان كنا ارجعناه الى سجل مسقط رأسه الأدبي في حين انه صنيعة هذه المدينة (النجف) المدين لها في روحه ومكانته .

كان ابو المهدي يحمل مبدءاً اسلامياً نقياً ويعاضد الأتراك على هذا الأساس وقد بلي بلاء متواضعاً في سبيل ذلك ، وعندما ذاب الأتراك من الجزيرة العربية كان صاحبنا على رأيه في محافظة الأسس الدينية غير ان شعوره لطف فأصبح قومياً عنيفاً يكره كل شعوبي مهما كان لونه وعقيدته وعلى ذلك نازع كثيراً من رجال الدين ولاكمهم ملاكمة عنيفة أدت الى نقد كثير من العقلاء واهل المعرفة والعلم .

وكان لاعتناقه الرأي الديمقراطي ومناوءته لرجال الاستبداد قصص كثيرة وكثيرة فقد كان جبهة قوية ضد انصار الاستبداد المتمثل شخصهم في المرحوم آية الله اليزدي ، وكان عاملاً بقوة في جبهة الديمقراطية المتمثلة بشخصية آية الله الشيخ ملا كاظم الخراساني ، وقد استخدم نظمه الذي كان لا يسمو مع بيانه فكان يعتصم بهجاء صديقه السيد عبد المطلب ولذعه والذي كان حمماً يصب على رأس المستبدين وبذلك اندفع السيد صالح يخطب الجماهير ويوقظ نفوسهم ويلهبها بألوان من القول اللاهب حتى حقق كثيراً مما قصد وقصده مشايعوه في الرأي ، ولما انهارت جبهة الديمقراطيين الأحرار بموت عميدهم الخراساني ونشط سلطان خصومهم وتلاشت دولة الأتراك التي كانت تساندهم وظهر سلطان الانكليز كان يمشي في طريقه لم يثنه الفزع والهلع الذي شمل جل النفوس واستمر في نصبه العداوة بكل جوارحه لناصري

الاستعمار الجديد فهاجر من النجف الى بغداد فاختار الإقامة في الكاظمية وذلك في عام ١٣٢٩هـ وبقي فيها مرموقاً من قبل الجماهير حتى إذا سقطت بغداد ودخل الفاتح المستعمر وظهر سلطان الانكليز كان لا يفتأ عن سبهم ولعنهم وتحريض الناس عليهم وما ان شبت الثورة العراقية على يد أبطال سجلهم التاريخ بأحرف ناصعة كان هو أحد الأعضاء العاملين في حقل الثورة فتوغل في أرياف العراق يستنهض زعماءها وأبطالها وكان معظم تجواله في ضواحي بغداد ، ولما أن دخل «بعقوبة» لاستنهاض اهلها قبضت عليه حكومة الاحتلال وأبعدته الى البصرة ثم الى الهند وفي وجوده بالبصرة ومروره على قصر الشيخ خزعل بالفيلية نادى (واخزعلاه ولا خزعل لي اليوم) فأغاثه وأخذه من السلطة الانكليزية وأجلسه عنده اكثر من ثمانية أشهر كان نديمه في اكثر أوقاته ، ولما اطلق سراحه رجع فقطن ناحية الكوفة ، وفي عام ١٣٤٢هـ نفته الحكومة العراقية الى البصرة عندما هتف في مقاطعة الانتخابات للمجلس النيابي وبقي في النفي ستة أشهر ثم عاد بعدها الى النجف .

سيرته وخلقه :

لعل سيرة الرجل وخلقه من الأمور البارزة لدى الكثير ممن عاصره وشاهده واجتمع معه ولعل من الخير ان نقول عندما يلطف ذكراه ولكن هناك امور كان لها اثر في كثير من حياتنا الاجتماعية التي لحقتنا آثارها للآن وهي :

١ ـ مصادمته بشدة لأسرة المعارف ومحاربته فتح المدارس .

٢ ـ نقده الشديد لرجال الدين ورجال الفكر .

٣ ـ مقاومته للصحف وأربابها بقوة .

٤ ـ خلق أجواء وتكتل بين الأميين ورجال التعليم .

٥ ـ سلبيته العامة التي لم يركن فيها الى قاعدة ايجابية .

وهناك أمور تقابلها وهي :

١ ـ تواضع مفرط مع مختلف الطبقات .

٢ ـ فكاهاته العديمة النظير والتي تبلغ ما وراء التصور .

٣ ـ عطفه على الفقير ومكافحة الغناء غير الشرعي وأربابه .

٤ ـ سماحة كفه وكرم طبعه وتذوقه كل ما يحسن بذله من معروف .

٥ ـ بغض الانكليز واتباعهم ومن يهواهم على طول الخط .

وكان رحمه الله لطيف المعشر فكه الحديث يرصد النكتة ويبدع بها وكثيراً ما تكون قاسية لاذعة ، ولولا شرع المجاملة التي تربطني مع كثير من الأسر النجفية العلمية البارزة لأدليت بكثير من جمله الفنية البديعة في النقد . وكان الى جنب ذلك يعطف على الفقير والبائس ويكافح رجال الربا الذين كثروا في هذا البلد والذي تلفع اكثرهم بالنسك الكاذب والتقشف المغري فقد كان ينصب عليهم كالشرر المحرق وكان يتقصد نقدهم بقسوة خلال ارتقائه الأعواد ، فيأمر بالمعروف ولكن عرضه له يختلف عن غيره فهو يشفعه بكلم قارص وقول جاف .

وكان لتقدمه في السن محيطاً بتراجم الرجال فلا يجرؤ أحد ان ينقده فإذا ما عمد احد، الى نقده رجع عليه بهويته وسيرته وكل نقص بارز فيه فإذا ما خلا بعضهم من الضعف استطاع ان يواجهه بجنان ثابت . والحسنة التي تذكر له هو مقاطعته للانكليز وبغضه لهم طيلة حياته وبذلك استمر دون ان ينقلب عن رأيه .

تفوق خصومه عليه :

وابو المهدي رجل عرك الحياة وقاوم الأوساط الفكرية ردحاً من الزمن مما ولّد في نفوس الكثير كبتاً قوياً أدى ان ينفجر معه عندما انتشر نور الفكر وكثر انصار الايجابية فكان يتلقى نتيجة حملاته التي كان يشنها عليهم ولكنه كان يتدرع بنخبة من العوام التي كانت تحبه وتتفانى في المحافظة عليه باسم

«المنبر الحسيني» فكان لبقاً عبقرياً لم يدع لهم مجال الانتصار عليه وكان يتلون ما وسعه التلون عندما أحس بأن الحكومة العراقية كانت تساعد هذه الفئة وتنتصر لها فكان يعلن غير مرة في مفتتح قراءاته هذا البيت :

اصبح الحاكم امي وابي
من يعاديه يعادي مذهبي

وبهذا الاسلوب كان يتخلص من مقاومتهم غير انه قبل حياته بعشرة سنين فقد أهميته ومكانته ونفوذه الجماهيري نتيجة مواصلة المقاومة له .

عبقريته وصلابة ارادته :

لا ينكر ان المترجم له كان يحتفظ بكثير من ظواهر العبقرية ومنها الشذوذ الاجتماعي الذي كان ينفرد به ، والحق اني وكثير من خصومه في الراي كنا نسخر بآرائه الوقتية وأساليبه المعسولة التي يداعب بها عقول الآلاف من الناس ولقد حدثني رحمه الله يوماً عن صلابة ارادته وقوة أعصابه فقال: لقد كنت في الكاظمية اقدس كما يقدس الولي فكنت إذا مررت في طريق وقف الناس اجلالاً وتهافت المارة على تقبيل يدي ، ثم مضى دور لي ايضاً فيها كنت إذا مررت في الطريق يلعنني الناس كما يلعنون الشيطان وفي كلا الدورين لم تزهو نفسي ولم تضعف لاعتقادي بأن عقلية الجماعات كالطفل يسخرها الانسان متى شاء ويقيمها ويقعدها إذا أحكم الرأي .

بهذا يتجلى صاحبنا انه رجل عظيم القلب كبير النفس لا يرهب الحوادث ولا يخشى النوازل ولا يفرح ان عثر على لذة كما لا يبتئس إذا اصابته مصيبة ولقد تناقلت أحاديثه وقصصه الكثير من الرواة ووصفوا صلابة إرادته وشجاعته الادبية خاصة عندما كان أسيراً مرتهناً عند امير المحمرة الشيخ خزعل فكان لا يتردد معه بالكلام القارص الذي يبتعد عنه أي شجاع في مثل ذلك الظرف .

وحياة السيد صالح مليئة بالأعمال والحركات والملاكمات واسعة الجوانب كثيرة النواحي وليس لنا ان نحيط بها في مثل هذه الصورة المختصرة غير ان ما أعطيناه عنه كاف لأن يصوره للقارىء ويوقفه على ذلك انه لا يأتي بعده أحد يحمل بعضاً من جوانب حياته ، ومن الجدير بنا ان نثبت ما جاء في كتاب «الطليعة» عنه فقد قال السماوي : فاضل مشارك في العلوم شديد العارضة ، وخطيب بارع في فن الخطابة ، يتحلى به المنبر إذا علاه ، ويتحلى به المحفل إذا استملاه ، وذاكر يمثل واقعة الطف بلطف وصف ، ونائح إذا ذكر الحسين أذاب القلب وأجراه من العين ، ومحاضر حسن المحاضرة ، لطيف المذاكرة ، جميل المعاشرة ، لولا ان صاحبه كراكب أسد ، أو عائم بحر .

وفاته :

لازم الفراش رحمه الله قبل موته زمناً طويلاً في داره بناحية الكوفة وانتهى بارتحاله الى الفردوس ليلة السبت ٢٩ شوال من عام ١٣٥٩هـ الموافق تشرين الثاني من عام ١٩٤٠م وحمل نعشه الى النجف فدفن فيه حسب وصيته في مقام المهدي(ع) وأقيمت له عدة فواتح كان أهمها وأوسعها تأبين الخطباء له وقد القى فيه عدد منهم الكلمات الطيبة والقصائد العامرة ورثاه الشيخ عبد المهدي المطر بقصيدة فاخرة منها :

نعتك الخطابة والمنبر
وناح لك الطرس والمزبر
وفيك انطوت صفحة للبيان
بغير لسانك لا تنشر
ومات بموتك شطر كبير
(وفيك انطوى العالم الاكبر)